

تفسير البحر المحيط

@ 236 @ عن أبي عمر وخبير : بما يعملون بالياء من تحت ، والجمهور بالتاء . .
قوله عز وجل { خَبِيرُ يَأْيُهَا السَّذِينَ ءَامَدُواْ إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ
فَقَدَّمُواْ بَيْنَ يَدَيْهِ نَجَّوَاكُم مِّنْ صَدَقَةٍ ذَلِكْ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ
فَإِنْ لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ اللَّهَ (سقط : إلى آخر الآية) } . .
{ السَّذِينَ تَوَلَّوْاْ } : هم المنافقون ، والمغضوب عليهم : هم اليهود ، عن السدي
ومقاتل ، أنه صلى الله عليه وسلم (قال لأصحابه : (يدخل عليكم رجل قلبه قلب جبار وينظر
بعيني شيطان) ، فدخل عبد الله بن أبي بن سلول ، وكان أزرق أسمر قصيراً ، خفيف اللحية ،
فقال عليه الصلاة والسلام : (علام تشمني أنت وأصحابك) ؟ فحلف بالله ما فعل ، فقال عليه
الصلاة والسلام له : (فعلت) ، فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما سبوه ، فنزلت . والضمير في {
مَّا هُمْ } عائد على { السَّذِينَ تَوَلَّوْاْ } ، وهم المنافقون : أي ليسوا منكم أيها
المؤمنون ، { وَلَا مِّنْهُمْ } : أي ليسوا من الذين تولوهم ، وهم اليهود . وما هم
استئناف إخبار بأنهم مذبذبون ، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، كما قال عليه الصلاة والسلام :
(مثل المنافق مثل الشاة العائرة بين الغنمين لأنه مع المؤمنين بقوله ومع الكفار بقلبه
(. وقال ابن عطية : يحتمل تأويلاً آخر ، وهو أن يكون قوله : { مَّا هُمْ } يريد به
اليهود ، وقوله : { وَلَا مِّنْهُمْ } يريد به المنافقين ، فيجئ فعل المنافقين على هذا
التأويل أحسن ، لأنهم تولوا مغضوباً عليهم ، ليسوا من أنفسهم فيلزمهم ذمامهم ، ولا من
القوم المحقين فتكون الموالة صواباً . انتهى . والظاهر التأويل الأول ، لأن الذين تولوا
هم المحدث عنهم . والضمير في { وَيَحْلِفُونَ } عائد عليهم ، فتتناسق الضمائر لهم ولا
تختلف . وعلى هذا التأويل يكون { مَّا هُمْ } استئنافاً ، وجاز أن يكون حالاً من ضمير {
تَوَلَّوْاْ } . وعلى احتمال ابن عطية ، يكون { مَّا هُمْ } صفة لقوم . { وَيَحْلِفُونَ }
عَلَى الْكَذِبِ } ، إما أنهم ما سبوا ، كما روي في سبب النزول ، أو على أنهم مسلمون .
والكذب هو ما ادعوه من الإسلام . { وَهُمْ يَعْلَمُونَ } : جملة حالية يقبح عليهم ، إذ
حلفوا على خلاف ما أبطنوا ، فالمعنى : وهم عالمون متعمدون له . والعذاب الشديد : المعد
لهم في الآخرة . وقرأ الجمهور : { أَيْمَانِهِمْ } جمع يمين ؛ والحسن : إيمانهم ، بكسر
الهمزة : أي ما يظهرون من الإيمان ، { جَذَّةٌ } : أي ما يتسترون به ويتقون المحدود ،
وهو الترس ، { فَاصْدُّواْ } : أي أعرضوا ، أو صدوا الناس عن الإسلام ، إذ كانوا يثبطون
من لقوا عن الإسلام ويضعفون أمر الإيمان وأهله ، أو صدوا المسلمين عن قتلهم بإظهار الإيمان

، وقتلهم هو سبيل الله فيهم ، لكن ما أظهره من الإسلام صدوا به المسلمين عن قتلهم . . .
{ لَنْ تَغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مَنْ اللَّهَ شَيْئًا } : تقدم
الكلام على هذه الجملة في أوائل آل عمران . { فَإِذَا دُعُوا لِلَّهِ } : أي الله تعالى . ألا
تري إلى قولهم : { وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مِنْكُمْ مَشْرُكِينَ } ؟ { كَمَا يَحْلِفُونَ
لَكُمْ } أنهم مؤمنون ، وليسوا بمؤمنين . والعجب منهم ، كيف يعتقدون أن كفرهم يخفى على
عالم الغيب والشهادة ، ويجرونه مجرى المؤمنين في عدم اطلاعهم على كفرهم ونفاقهم ؟
والمقصود أنهم مقيمون على الكذب ، قد تعودوه حتى كان على ألسنتهم في الآخرة كما كان في
الدنيا ، { وَيَحْسَبُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ } : أي شيء نافع لهم . . .
{ اسْتَخَذُوا ذِيْ الْعِزَّةِ لِيَكُونَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ } : أي أحاط بهم من كل جهة ، وغلب على
نفوسهم واستولى عليها